فصلنامه تحقیقات جدید در علوم انسانی
Human Sciences Research Journal
دوره چهارم، شماره ۲۸، تابستان ۱۳۹۹، صص ۲۳۵-۲۹۹
New Period 4, No 28, 2020, P 299-235
ISSN (2476-7018) شماره شاپا (۲۴۷۶-۷۰۱۸)

الأقطاع والحصار البحری علی أوربا فی منتصف العصور الوسطی

د. هاشم ناصر حسین الکعبی.
جامعة کربلاء\ کلیة التربیة للعلوم الانسانیة.
م. د. نعیم عبد جودة الشیباوی
جامعة کربلاء/ کلیة التربیة للعلوم الأنسانیة.

Abstract
There are so many themes that shed lights over the subject of feudalism without giving accurate definition to most of its roots or partial details. Those widely known topics، indeed، treated the subject from one point of view، the agricultural transactions of the cultivated land disregarding other important points. Feudalism، actually، was invented during stern economic and financial crises to be a remedy for the social، economic and monetary problems. This research article has been determined to express different analyses for this political، economic and social term foxing on the main historical two reasons that forced both of the governments and peoples to resort to this sort of deal، the Germanic invasion and the block out of the Mediterranean. This sea or what so called in the classic ages، the Roman lake، was the key maritime path for the African gold which was used in minting coins. Thus، the devaluation or the collapse of the Roman currency from the mid of the Fifteenth Century onwards، for the first time، and of the Carolingian currency in later part of the Eighteenth Century، for the second time، led to innovate fresh operations to run the daily activities of life.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-12-06]

أولاً:- البدايات المبكرة للإقطاع.

طالما ارتبط ظهور الاقطاع فى القارة الاوربية بانغلاق البحر المتوسط عليها. فقد كان ذلك البحر يشكل ارتباطاً لها بالقارة الافريقية الغنية بالذهب والفضة التى طالما زودت الامبراطوريات او الدول بتلك المعادن الثمينة لسك مختلف العملات النقدية.[1]

ومن النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى كان الرومان اول من لجأ الى تأسيس تلك التنظيمات الاقتصادية التى يمكن ان توصف بأنها نوع من اجراءات الاقتصاد العينى. ان اللجوء المبكر للإمبراطورية الرومانية الكلاسيكية فى أواخر حياتها فى القارة الاوربية الى تلك الإجراءات التى وصفت بانها اقطاعية كانت مرتبطة بحلقة من الظروف الاقتصادية والاجتماعية التاريخية لا يمكن فصل بعضها عن البعض الاخر. فكان اول تلك الخطوات تعزى الى انهيار العملة النقدية الرومانية الذى كان يعزى الى انغلاق البحر المتوسط بوجه تلك الامبراطورية ما أدى الى انقطاع مصادر الذهب والفضة التى كانت تتوارد على القارة الاوربية من اعماق القارة الافريقية.[2]

الحق ان ذلك الأنغلاق البحرى بوجه الامبراطورية الرومانية كان يعزى الى عاملين تأريخيَين اولهما ظهور احدى الممالك الجرمانية فى شمال افريقيا وهى مملكة الوندال التى تمكنت من بسط سيطرتها على الشواطئ الأفريقية للبحر المتوسط ما أدى الى انكماش التجارة البحرية هناك؛[3] وثانيهما هو ظهور قوة قبلية بدائية هائلة لم يكن يُحسب لها حساب هم قبائل الهون المغولية الذين قدموا الى القارة الاوربية منذ النصف الاول من القرن الرابع الميلادى من اواسط آسيا مروراً بالممر الكائن بين جبال الأورال وبحر الخزر.[4] وقد أخذ هؤلاء الغزاة الجدد بإزاحة القبائل الجرمانية المتحالفة مع الإمبراطورية الرومانية المقيمة فى شرق اوربا نحو وسط اوربا، فحصل ما يمكن ان يُطلق عليه عملية انتقال وهجرة جماعية سكانية نحو الغرب. فعلى الرغم من ان قبائل الجرمان الغوط الغربيين تمكنوا من ان يقفوا بوجه ذلك التقدم الهونى المريع إلا انهم اضطروا الى النزوح غرباً حتى وصلوا الى شبه الجزيرة الأيبيرية حيث كان يقيم الوندال هناك.[5]

وعلى أية حال، فعلى الرغم من قوة وشكيمة الوندال إلا ان القسم الكبير منهم تمكن من عبور البحر المتوسط نحو شمال افريقيا سنة ٤١٨ م. حيث أقاموا مملكة لهم هناك ظلت قائمة طيلة المدة (٤٢٩-٥٣٣م.)،[6] عندما انهى وجودها الإمبراطور البيزنطى الشرقى جستنيان على قائده البارز بيليساريوس. وقد مارست تلك المملكة نفوذاً بحرياً على البحر المتوسط أضر على الاقتصاد الرومانى.[7] ومع كل ما مر ذكره،

---

١. ادوارد بروى, تفوق الحضارة الشرقية فى:- موريس كروزيه, تأريخ الحضارات العام, بيروت, ٢٠٠٦, ص ص ١٥- ١٦.

٢. المصدر نفسه, ص ص ١٤- ١٦.

(3) James Harvey Robinson and James Harvey Breasted, General History of Europe, London, 1926, P. 183.

٤. عبد القادر احمد اليوسف, العصور الوسطى الاوربية ٤٧٦- ١٥٠٠, بيروت, ١٩٦٧, ص ٤٢.

٥. سعيد عبد الفتاح عاشور, اوربا العصور الوسطى, الجزء الاول:- التاريخ السياسى, الطبعة التاسعة, مطبعة الانكلو- مصرية, ١٩٨٣, ص ٨٨.

(6) James Harvey Robinson and James Harvey Breasted, Op. Cit, P. 183.;
سعيد عبد الفتاح عاشور, المصدر السابق, ص ص, ٨٨- ٨٩.

(7) https://ar.m.wikipedia.org/wiki. Accessed in:- 3\ 8\ 202.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-12-06]

فان أولئك الهون هم الآخرون بسطوا هيمنتهم على المنافذ التجارية على شرق اوربا بشكل لا يقل خطراً عن مملكة الوندال.[1]

ومهما يكن من أمر لم يكن امام الإمبراطورية الرومانية الكلاسيكية من حلول أمامها للأزمة الاقتصادية المريعة الى أَلْمَتْ بها من جراء ذلك الانغلاق البحرى سوى اللجوء الى استثمار الأرض. لقد كان امام تلك الامبراطورية ان تعيل الاعداد الهائلة من موظفيها ومن الأسارى والعبيد الذين كانوا يمارسون واجباتهم التى اعتادوا عليها مقابل أجور نقدية.[2] وبعد ان أضحت الدولة غير قادرة على تلك الاجور بسبب انهيار العملة الرسمية رفعت مستوى أولئك العبيد الى معمرين **Coloni** ومنحتهم مساحات من الاراضى يقتاتون عليها عرفت الواحدة من تلك الوحدات من الاراضى بالفيلا **Villa**التى كانت مساحتها تقدر ١٥٠٠ أيكر **Acre**. ومع مرور الزمن أصبح أُطلِقَ على ذلك المعمر **Colonus** كلمة لاتينية اخرى مشتقة من الفيلا تُعرف بقن الارض **Villein**.[3]

بعد زوال خطر الوندال عن الملاحة التجارية فى البحر الابيض المتوسط لم تعد قارة اوربا او بالأحرى الجزء الغربى من القارة الاوربية مثلما هى عليه فيما مضى، اذ خَلَفَ سقوط العاصمة روما على يد القائد الجرمانى ادواكر زوال وجود اى شيء يذكر من مؤسسات الدولة القادرة على انعاش الاقتصاد وتوحيد كلمة الرعية فى ظل كيان سياسى واحد ولم تكن هناك سوى وجود ممالك جرمانية متناثرة متصارعة لأسباب قبلية او مذهبية مسيحية وغالباً ما كانت كنيسة روما الكاثوليكية هى الطرف الوحيد الذى يلجأ اليه المتنازعون لفض النزاعات لِما تتمتع به من مكانة روحية عالية بين اوساط المسيحيين الجرمان.[4]

ثانياً:- الأقطاع الجرمانى.

كانت مملكة الفرنجة الميروفنجية هى الدولة الاوسع والاقوى من بين جميع الممالك الجرمانية التى ورثت روما فى الغرب الأوربى وصادف ظهورها للحياة وجود طرق بحرية وبرية آمنة لممارسة التجارة الدولية وقد حققت نجاحاً تجارياً هائلاً عبر عاصمتها الاقتصادية مرسيليا التى هيمنت على التجارة مع الشرق ومع افريقيا كذلك.[5] وعلى الرغم من ذلك الانتعاش التجارى الا انها لم تتخل عن طبيعة التنظيمات الزراعية التى سبق أن لجأت لها روما سلفاً ولكن بمسميات جديدة هى الدومين التى تتكون من مسحة تتراوح بين ١٢٠٠ الى ١٣٠٠ هكتار، وكانت تنقسم الى قسمين الاول يعود للأمير والثانى يعود للفلاح او قن الارض اسمه المانس الذى يكون معفى من اى شكل من اشكال الضريبة العينية او النقدية.[6]

(1) R. H. C. Davis, A History of Medieval Europe, Longman, London, 1970, P. 22.
(2) J. Robinson, An Introduction to the History of Western Europe, Vol:- I, Boston,1946, P. 23.
٣. عبد القادر احمد اليوسف, المصدر السابق, ص ٣٠.
٤. ادوارد بروى, المصدر السابق, ص ص ٢٥- ٢٨.
٥. نور الدين حاطوم, تاريخ العصر الوسيط فى اوربة, الجزء الاول, الطبعة الاولى, دار الفكر, بيروت, ١٩٦٧ , ص ص ١٠٣- ١٠٤.
٦. جوزيف نسيم يوسف, تأريخ العصور الوسطى الاوربية وحضارتها, الطبعة الاولى, دار النهضة, بيروت, ١٩٨٧, ص ص ١٠٠- ١٠١. ؛ نور الدين حاطوم, المصدر السابق, ص ص ١٠٠- ١٠٢.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-12-06]

وعلى اية حال، عندما آلت مقاليد السلطة الملكية عام ٧٥١ م. لشعب الفرنجة الى الملوك الجدد الكارولنجيين الذين أعلنوا توجهاتهم العقائدية المبكرة فى كونهم حماة العقيدة المسيحية الكاثوليكية ودخولهم فى علاقات صداقة مع الدولة الإسلامية الجديدة التى تزعمها العباسيون فى بغداد الذين ما لبثوا أن ساعدوا على تأسيس دولة الأغالبة على الساحل الشمالى لأفريقيا حيث هيمنوا على طرق التجارة البحرية فى البحر الأبيض المتوسط من جهة، وتنازعهم مع الامبراطورية البيزنطية فى أمور سياسية ودينية من جهة أخرى جعل التجارة الدولية البحرية فى البحر المتوسط تُصاب بحالة من الشلل التام الأمر مدة الثلاث قرون بدئاً بعام الأنقلاب الكارولنجى سنة ٧٥١م.[١]

ان ذلك الحصار البحرى الشديد قد القى بظلاله على الواقع الاقتصادى لوسط وغرب أوربا الذى كان يقبع تحت هيمنة الكارولنجيين. وكان انقطاع المعادن الثمينة عن القارة الأوربية جعلها تعيد النظر فى اجراءاتها الإدارية والاقتصادية بشكل اوسع بكثير مما عمله الرومان والميروفنجيين من قبل.[٢]

اعتاد شعب الفرنجة على سك وتداول عملة الصلد **Solidus** الفرنجى المصنوع من الذهب الخالص الذى كان له ابلغ الاثر تسيدهم الاقتصاد العالمى آنذاك. فقد قدر المؤرخ البلجيكى هنرى بيرين فى عشرينيات القرن العشرين قيمة الصلد الفرنجى فتوصل الى انها تساوى اكثر من ثلاثة دولارات وفق قيمتها الشرائية فى ذلك العقد الذى اجرى فيه الدراسة، ولكن الملوك الكارولنجيين الجدد والمعادلة الدولية المعقدة التى اضحى عليها عالم العصور الوسطى منذ النصف الثانى من القرن الثامن عشر فى الانغلاق البحرى على اوربا وانقطاع المعادن الثمينة عنها اجبرتهم فى اول الأمر على القيام بمحاولة سك عملة نقدية جديدة مصنوعة من الفضة هى الدينار الفرنجى الا انها لم يكن لها اثراً يذكر فى تحقيق اية نجاح اقتصادى او مالى فضلاً عن انقطاع الفضة نفسها عن دولتهم.[٣]

اجبرت هذه التطورات المستجدة الملوك الكارولنجيين على ابتكار وحدات جديدة من الأرض ومنحها بشكل هرمى للأمراء والنبلاء الذين يؤجروها هم الآخرين الى فئة الفرسان الذين يشرفون على تشغيلها بواسطة أقنان الأرض الذين اضحوا يُسمون[٤] **Serfs**.

ان هذا النوع من الأراضى كان يُسمى بالمائة **Hundred** التى تتكون من ما يقرب خمسة أميال جرمانية وكانت تسمى بالأراضى المكشوفة التى يعمل بها القن اربعة ايام فى الاسبوع. وبجانب المائة مُنح الأقنان كذلك وحدات من الأرض خاصة بهم للإعالة عوائلهم كانت تسمى بالأراضى المبعثرة وكان العمل بها ثلاثة ايام فى الاسبوع.[٥]

(1) James Westfall Tompson, Economic and Social History of the Middle Ages, Vol:- I, New York , 1966, P. 282.
(2) Henri Pirenne, Medieval Cities their origins and the Revival of trade , Princeton, New Jersey , 1944, , p.36 , p.42 , R,H C. Davis , Op. Cit, p.181.; H.G.Koenigsberger, Medieval Europe 400-1500, Longman,1989, p.79.
(3) Henri pirenne , Op.Cit , pp. 36- 34.
(4) James Westfall Thomson, Op. Cit, PP. 282- 283.
(5)James Westfall Thomson, Op. Cit, PP.28; جوزيف نسيم يوسف, المصدر السابق, ص ١٠٠.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-12-06]

أما إشراف الفرسان على ذلك العمل فى تلك الوحدات الزراعية فكان مقابل ضرائب متفق عليها فضلاً عن ادائهم الخدمة العسكرية مدة لاتتعدى اربعين يوماً من كل سنة فى ثغور المملكة المترامية الأطراف.[1]

الحق، ان تلك التنظيمات مع بدائيتها وبساطتها وسيادة التعامل الكمى والعينى فى ادارتها إلا انها اثبتت نجاحها فى انقاذ وسط وغرب اوربا من اعتى واقور حصار عرفته البشرية فى العصور الوسطى الاوربية. فلولاها ما كان يُقدر للشعوب القاطنة فى وسط وغرب القارة الاوربية النجاح البقاء والاستمرار فى تلك الظروف العصيبة. بل ان نهاية ذلك الحصار البحرى كشف عن تزايد هائل فى سكان تلك الاقاليم.[2]

ولم يقتصر الأمر على الشأن الاقتصادى فحسب، بل ان انغلاق اوربا طيلة ما يقرب الأربعة قرون من الزمن جعل الشعوب الساكنة هناك تحافظ على هويتها الثقافية المتمثلة بالديانة المسيحية حسراً. فبعد انتاء احصار البحرى وانفتاح اوربا على العالم من جديد امسى المواطن الأوربى ينظر الى الدين كونه قضية ثانوية. ناهيك عن ان تلك العزلة وفرت لها بيئة صحية فما ان انتعشت الطرق التجارية حتى اصاب القارة الأوربية بأكملها الطاعون الأسود الذى يُذكر انه اهلك اكثر من ثلث السكان.

ثالثاً:- إنحسار الحصار البحرى والأقطاع.

ارتبط انحسار الاقطاع وانفتاح البحر المتوسط امام التجارة الدلية الى حد كبير بمساعى البابوية الكاثوليكية فى التبشير فى المعتقد المسيحى منذ منتصف القرن الحادى عشر الميلادى فى اوساط فئة من الاقوام الجرمانية التى كانت تقطن فى شبه الجزيرة الأسكندنافية الذين عُرفوا بالشماليين او بالنورماند **Normans**. وعند ذلك لم تكن الاوضاع العامة فى ساحل شمال افريقيا على ما يرام لظهور قوة الفاطميين وخلافاتهم مع الدولة العباسية الامر الذى ادى الى ضعف هيمنة المسلمين البحرية فى مياه البحر المتوسط.[3]

وعلى اية حال، فكانت الجهود التبشيرية المسيحية وتدنى القوى الاسلامية البحرية قد ادت الى تشجع النورمان الى مهاجمة جزيرة مالطة والاستيلاء عليها سنة ١٠٦٠ م. وكذلك الاستيلاء على جزيرة كورسيكا سنة ١٠٦٢ م. وقد هاجم كذلك الإيطاليون العاصمة التونسية المهدية عام ١٠٨٧م وأضطر حاكمها إلى توقيع إتفاقية معهم تضمنت دفع السلطات التونسية غرامة حربية وأطلاق سراح الأسرى المسيحيين والأمتناع عن القرصنة وأعفاء السفن البيزوية بصورة خاصة من الضرائب. واستطاع كذلك النورماند الاستيلاء على جزيرة كورسيكا عام ١٠٩١م وأنتزاعها من المسلمين وتم لهم بذلك فتح مضيق مسينا[4]والبحر المتوسط للملاحة الأوربية، وعندما أستولى الصليبيون على سواحل بلاد الشام فى أوائل القرن الثانى عشر الميلادى إنطلقت

---

١. عبد القادر احمد اليوسف, المصدر السابق, ص ١٢٦.

٢. جوزيف نسيم يوسف, المصدر السابق, ص ص ١٠٢- ١٠٣.

(3) Henri pirenne , A history of Europe from the invasion to XVI Century, London,1936 , pp. 177- 178. ; عبد القادر أحمد اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب بين القرنين الحادى عشر و الخامس عشر صيداو بيروت, ١٩٦٩، ص ١٤.

٤. عبد القادر أحمد اليوسف، علاقات بين الشرق والغرب, ص ص ١٤-١٥

Christopher Brooke, Europe in Central Middle Ages, 962- 1154 , London , 1966, p. 221.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-12-06]

التجارة الأوربية وتحررت من قيودها ونشأت شبكة من الطرق التجارية لم تقتصر نتيجتها على أتصال الأوربيين بسواحل بلاد الشام فقط بل شهدت إتصالهم بالمسلمين تجارياً فى أفريقيا وآسيا ثم أمتد إلى أبعد من ذلك إلى الهند والشرق الاقصى.[1]

وهكذا فقد كان لوقوع إيطاليا بين الشرق والغرب الأثر الكبير فى الأستفادة أكثر من غيرها بالأتجار مع بلاد الشام وسائر بلاد المسلمين فى أفريقيا وبلاد الأندلس ، فتاجرت البندقية مع مصر وبيزا مع تونس وكانت كثير من المدن الإيطالية تبيع الأسلحة للمسلمين فى خضم الحروب الصليبية ويبدو أن الإيطاليين ليسوا كالكارولنجين، إذ طالما رددوا تلك العبارة القائلة:" إننا أولاً تجار وثانياً مسيحيين.[2]

وهكذا فقد كانت عودة الانتعاش التجارى فى البحر المتوسط وهيمنة القوى الاوربية عليه من جديد إيذاناً بالأنحسار التدريجى للاقطاع فى مختلف ارجاء القارة الاوربية عند نهاية القرن الحادى عشر للميلاد.

الخاتمة.

يتضح مما مر بحثه انه على الرغم من ان اللجوء الى الاجراءات الاقطاعية يمثل عودة الى الوراء فى تاريخ الحضارة البشرية، إلا انه يُعَدُ بمثابة احدى الوسائل التى اخترعتها الحضارة الانسانية عندما تتعرض الى حالة من التهديد الاقتصادى الذى تفرضه الظروف العسكرية او السياسية او الجغرافية. وان تلك الاجراءات التى اتخذتها الامبراطورية الكارولنجية على الرغم بدائيتها وبساطتها كشفت قوة استجابة الدولة للتحدى الذى فرضه عليها الواقع المر آنذاك. ومن غير المستبعد، فى حال أعطينا وصفاً آخر لتلك الوسائل الاقطاعية فى انها نوع من انواع الاقتصاد العينى او الضرائب العينية، ان تكون درساً لنا فى الواقع الذى نعيشه اليوم فى طبيعة الحروب الاقتصادية والمالية التى يشهدها العالم فى يومنا هذا.

---

١. محمود سعيد عمران، حضارة أوربا فى العصور الوسطى، دار النهضة، بيروت، ١٩٩٩، ص ١٦٦.

٢. المصدر نفسه, ص ١٦٩.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-12-06]

قائمة المصادر.

ـ جوزیف نسیم یوسف، تأریخ العصور الوسطی الاوربیة وحضارتها، الطبعة الاولی، دار النهضة، بیروت، ۱۹۸۷.

ـ محمود سعید عمران، حضارة أوربا فی العصور الوسطی، دار النهضة، بیروت، ۱۹۹۹.

ـ موریس کروزیه، تأریخ الحضارات العام، بیروت، ۲۰۰۶.

ـ نور الدین حاطوم، تاریخ العصر الوسیط فی اوربة، الجزء الاول، الطبعة الاولی، دار الفکر، بیروت، ۱۹۶۷.

ـ سعید عبد الفتاح عاشور، اوربا العصور الوسطی، الجزء الاول:- التاریخ السیاسی، الطبعة التاسعة، مطبعة الانکلو- مصریة، ۱۹۸۳.

ـ عبد القادر احمد الیوسف، العصور الوسطی الاوربیة ۴۷۶- ۱۵۰۰، بیروت، ۱۹۶۷.

ـ عبد القادر أحمد الیوسف، علاقات بین الشرق والغرب بین القرنین الحادی عشر و الخامس عشر صیدا، بیروت، ۱۹۶۹.

__ Christopher Brooke، Europe in the Central Middle Ages، 962- 1154 ، London ، 1966.

__ H.G.Koenigsberger، Medieval Europe 400-1500، Longman،1989.

Henri pirenne ، A history of Europe from the invasion to XVI Century، London،1936.

__ Henri Pirenne، Medieval Cities their origins and the Revival of trade ، Princeton، New Jersey ، 1944.

__ James Harvey Robinson and James Harvey Breasted، General History of Europe، London، 1926.

__ J. Robinson، An Introduction to the History of Western Europe، Vol:- I، Boston،1946.

__ James Westfall Tompson، Economic and Social History of the Middle Ages، Vol:- I، New York ، 1966.

__ R. H. C. Davis، A History of Medieval Europe، Longman، London، 1970.

https://ar.m.wikipedia.org/wiki. Accessed in:- 3\ 8\ 202.

[Downloaded from jnrihs.ir on 2025-12-06]